**جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**السنة الأولى ماستر**

**المحاضرة الثامنة**

**ظاهرة التقليد لدى ادباء عصر الضعف**

يقصد بالتقليد في الادب ان يكون هذا الادب محققا جملة من الشروط التي تعارف عليها نقاد العصر واتفق عليها ادباؤه ، لذا قالتقليد هو : محافظة الشيء على عناصره المكونة له والمتعارف عليها كمحافظة الشعر على اغراضه وصياغته المألوفة . علما ان ظاهرة التقليد ليست مقصورة على احتذاء القديم وحده ، وانما هي ايضا في احتذاء الجديد ومحاكاته .

وان كثيراً من الباحثين والدارسين لأدب العصر وقفوا عند هذه الظاهرة وقفة متباينة؛ نتيجة تباين نظراتهم لمعطياتها الدلالية،وعمقها الثقافي،ومحتواها الفني. من هؤلاء موسى باشا ضمن دراسته لأدب الدول المتتابعة وعنده ان الشعر التقليدي حافظ لدى معظم الشعراء على طابعه المأثور وان المدرسة التقليدية قد وجدت لها انصارها الذين حفظوا لها طابعها التقليدي وتقيدوا بأسلوبها ومبادئها .

وعليه فان الشعراء طرقوا كثيرا من المعاني المولدة وانهم حالوا بمختلف الاساليب ان يتجهوا بالشعر نحو سبل وآفاق جديدة وذلك تبعاً لما يقتضيه العصر جرّاء الاحداث الكبرى التي ألمّت به ، واحدثت آثاراً ظاهرة في المعاني الشعرية تتلاقى من خلالها التيارات المشرقية والمغربية

ويتفق مع الدكتور موسى باشا الكاتب نعيم الحمْصي في كتابه الموسوم (نحو فهم جديد منصف لادب الدول المتتابعة وتاريخه) قائلاً : **لقد استمرت المدرسة التقليدية في سيرها ووجدت لها انصاراً حافظوا على هيكل القصيدة ونظامها كما حافظوا على عمود الشعر المألوف ، وذلك في المشرق اما في المغرب والاندلس فقد حاول الشعراء التخلص من القيود والاغلال في الوزن والقافية ، واهمال الاعراب ، واستخدام الالفاظ الدخيلة والعامية،**

الدكتور ناظم رشيد (الأدب العربي في العصر الوسيط) يقول فيه : **بقي رافد الشعر في هذا العصر . ثراً معطاءً وكان الشعراء يرفدون القراء بما تجود به قرائحهم من شعر في مختلف الموضوعات المعروفة كالمديح والرثاء والغزل والوصف والهجاء والخمريات ، سائرين في نظمهم على خطى الاقدمين وسننهم من الشعراء المجيدين الذين تألقت اسماؤهم في ساحة الادب.**

ويقدم لنا الدكتور ناظم تحليلاً علمياً لهذه الظاهرة بقوله : **مما يلفت النظر ان كثيراً من الشعراء كانوا يضعون انفسهم الى جوار الشعراء القدامى والكبار، ويأتون باجزاء من قصائدهم المشهورة في نظمهم ؛ لاثبات قدرتهم على محاكاتهم وتمكنهم في مجاراتهم**

وفي مطالعات الدكتور بكري الشيخ امين يرى ان الشعر لم يكن تقليدياً صرفاً سار فيهما الشعراء على سنن الاقدمين ، فحسب بل قلدوهم في الاغراض التقليدية كالمديح والهجاء والرثاء والفخر ، والغزل والحماسة والوصف والحكم وما الى ذلك. الا انه يرى ان هنالك فنوناً اخرى اقتضتها ظروفهم التي عاشوها وبيئاتهم التي تلبسوها والوان التلاعب في الالفاظ والتفنن في الشكليات.

اما الكاتب محمد عبد المنعم خفاجي عنده ان الشعراء في العصر المملوكي قد غلب عليهم التقليد وصار الشعر لا ينبع من عميق إحساسهم ولا من دفين تجاربهم الشعرية ولا هو يعبر عن حياتهم وشخصياتهم ، انما هو صور بغيضة لعاطفة سقيمة وتجربة عقيمة ،

لهذا العصر سمات ميزته عن العصور السابقة، منها ذلك الشعور المقيت بالغربة . قد دفعت ظروف البلاد القاسية بعدد من الشعراء الى هجر مواطنهم الأولى ، وسعوا في البلاد ينشدون الراحة والامان ، ومن ثم قد هيجت هذه الغربة عواطف الشعراء على امتداد العصر وما يتخللها من اشتياق الى بيئاتهم الأولى ومواطنهم الاصلية وعهودهم الزاهرة.

مستدركاً القول: (انه لا يمكن ان نغفل اثر الشعر العربي القديم على مجمل العصور الادبية ومنها الشعر للقرنين السابع والثامن وقد لاحظنا ذلك الأثر بالدرجة الأولى على شعر الطلليات وما يتبع ذلك من وصف الديار والناقة ووصف المشاعر الانسانية

نبيل محمد سلمان البدران يرى في التضمين احد الطرق التي تعامل من خلالها الشعراء في هذا العصر مع الموروث الفني ، وقد اكثر الشعراء في تضمين قصائدهم اشطراً وابياتا من قصائد معروفة في الشعر العربي في عصوره المختلفة.. ويرى ان ذيوع هذه الظاهرة في شعر الحقبة يعود الى سببين : اولهما : إن الشاعر اراد ان يثبت تواصله مع الموروث الشعري العربي في زمن قاسٍ وصعب اراد الدخلاء فيه تشويه معالم النهضة العربية ، والاساءة الى تراثها الانساني الزاخر. وآخرهما : ان الشاعر متهماً بقلة اطلاعه على اللغة والآداب وضعف قدرته الشعرية واراد من خلال التضمين ان يثبت شاعريته بمجاراته القصائد المعروفة.

بيد ان الكثير من النقاد الذين كتبوا في شعر القرن التاسع عشر والحقبة التي سبقت عصر النهضة الحديثة ، وجدوا ان ظاهرة التقليد لا تمثل سوى عجز الشاعر وعدم تمكنه من لغته او التصرف بزمام امورها وانها ليست الا اجتراراً واعادة لا قيمة لها على وفق ما جاءت به آراؤهم ونظراتهم النقدية .

اذ يرى الاستاذ عبد الكريم الدجيلي في محاضراته عن الشعر العراقي ان بناء القصيدة التقليدي لم يطرأ عليه تبديل او تغيير ، إذ كان لزاما على الشاعر ان يبتدئ القصيدة بالغزل او النسيب او وصف الفرس او الناقة ، وهو تقليد لا يتخلص منه شاعر مهما ارتفع أو هبط.

ترى ان شعراء هذه الحقبة كانوا يكتفون على ما يبدو بقراءة ما تصل اليه ايديهم ثم يستلون ما بها من افكار وصور يصوغونها صياغة جديدة تجيء في الغالب اقل قيمة من صياغة من سبقوهم وان زاد في حليتها ، فالشاعر قد يكون رجل دين يتغزل بالخمرة وعفيفاً فيتغزل بالمذكر ، وابن مدينة فيبكي الاطلال والدمن ، ويعيش في العراق ثم يحن الى صبا نجد والرقمتين ؛

وغابت شخصية الشاعر الذاتية ومن ثم تبددت تبعاً لهذا احاسيسه وعواطفه الخاصة ، وابتعد بذلك عن اجواء عصره ، ويمكن القول بان الشاعر حين يقف عند حد اجترار معاني السابقين لا يعبر عن الاشياء من خلال نفسيته ولا من خلال عصره ، لانه في هذه الحال يكون مشغولاً بالتقليد عن مهمته الاساسية وهي الابداع.

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان وقوف هؤلاء الأدباء على ظاهرة يمثل تمازجا مع قضية التراث واصولها الحضارية ضمن التجربة الابداعية؟ وهل ان اتكاء الأديب على الموروث وتمسكه بالقديم نفى عنه صفة التجديد والابداع في الشعر حقا؟

ان ما وصم به الشعراء في هذا العصر من تقليد واجترار لمعاني القدماء وطرائقهم في التعبير وفق طريقة (الرأي المعد سلفا) أوهم الدارسين ان هذا الأدب لا يتفاعل مع أحداث عصره ولا يعبر عن روح ذلك العصر والحقيقة ان أديب العصر كان يستلهم معانيه ورموزه التقليدية من معالم الجزيرة العربية التي تحدث عنها كبار الشعراء القدماء حتى توهم ان من مستلزمات العبقرية والابداع ان يتحدث الأديب فيما تناوله الأقدمون

(والناس يخطئون إذ يظنون ان مثل هذا من الشعراء مجرد عبادة للقديم والحقيقة ان الشاعر يستغل اعجاب الناس بروائع الفن القديم، التي بهرت عقولهم ولعبت بمشاعرهم وعواطفهم حينا من الدهر فيجعل من انتاجه شبيها منها كل يصفي عليه شيئا من قداسة القديم وروعته. هذا فضلا عما عهدناه من ثقافة الأديب التي جعلته يدور في افقِ ما رسمه الاسلاف، والذي لا يكاد يخرج عنه أو يحيد ضمن سياق الثقافة الحديثة إلا ما ندر.